"سيجارة واحدة تكفي"

لم يكن القرار الذي توصلت إليه وليد مصادفة، وإنما نتاج صراعٌ طويل بين وعيي ولا وعيي، فاستدرت وسارعت بإعتلاء السور الحديدي، إلا أنه فاجأني ممسكًا بطرف بنطالي، كان بإمكاني دفعه بقدمي، وإكمال ما قد عقدت عزمي عليه، إلا أن نظرة عينيه الغاضبة حد الإحمرار استوقفتني مليًا، ما بال هذا الرجل؟

...من أين ظهر وكأن الأرض انشقت عنه فجأةً؟!.

خرجت عامدًا من كهف صمتي، صحت فيه:

دعني وشأني

فما كان منه إلا أن تمسك بقوة بطرف بنطالي، وازداد إحمرار عينيه إصرارًا على منعي قائلًا:

ليس قبل أن تشعل لي سيجارتي

كان لبريق عينيه الذابلتين وأنامله المرتعشة رجاءً لا يقاوم، أردف انتظرتك لأكثر من ساعتين كي استسمحك في إشعالها، ولكن خجلي من اقتحام خلوتك منعني، تابعتك وأنت تشعل سجائرك واحدةً تلو أخري، وصبرت ريثما تنتهي، ولن يكون جزاء صبري عليك أن تتركني وترحل دون أن تشعلها لي.

دسست يدي في جيبي، ثم مددتها له، فتناولها مني بلهفة، تابعته وهو يحاول جاهدًا أن يشعل سيجارته، إلا أن كل محاولاته باءت بالفشل، نزلت من فوق السور، أخذت من بين أصابعه قداحتي، ودنوت منه لإشعلها له، هالني منظرها، كانت عقبًا من أعقاب سجائري، ولمحت كفّه قابضةً على أعقابٍ أخرى، أشفقت

عليه كان رجلاً مسنًا، ملابسه رثة، تجاعيد وجهه تبوح بضعفٍ من بعد قوة، تبدت بين ثنايا تجاعيده وشدة تمسكه آنفا بطرف بنطالي، رغم إرتعاش أصابعه الدقيقة، أخرجت علبة سجائري، ناولته واحدة منها بعد أن أشعلتها له، فدفعها بشغفٍ إلى فمه، وانصرف بوجهه عني غير آبهٍ بوجودي، سألته مستنكرًا:

أكل ما كان يشغلك هو إشعال سيجارتك؟! ألم يكن يعنيك إقدامي على قتل نفسي؟

أجاب دون أن يلتفت لي:

ذاك شأنك يا بني، فبي ما يكفي ولا حاجة بي للتطفل على غيري.

صمت برهة من الوقت، ثم ألقى إلى الماء الأعقاب التي كانت في يده، واستند بذراعه الأيسر على حافة الكوبري، صامتًا أتفحصه، هالني دموعٌ تنساب في صمتٍ على خديه، ربّت على كتفه وسألته...

انتهى من تدخين سيجارته، ناولته علبة سجائري، إلا أنه رفض بإصرار أن يأخذها، وهمهم وهو يبتعد

" ربما تحتاجها على كوبري آخر "

ومضى إلى أن ابتلعه الظلام المحيط، لم انتظر طويلًا، ألقيت العلبة في الماء، ومضيت في الإتجاه الآخر وأنا أهمهم لنفسي

" لا حاجة لي بها، فزوجتي لم تطردني من البيت بعد "

* * *